

ليلة شتاء

قصة شعرية للدكتور حامد طاهر

هبطت درجة الحرارة

إلى ما يقرب من خمس درجات

واستمر المطر في الهطول

أغلق على نفسه باب المغرقة وشباكها

وعندئذ بدأت دقائق ساعة الحائط في الارتفاع

حتى صارت هي الصوت الوحيد الذى يسمعه

\*\*

استلقى على السرير

وتدثر بأكثر من بطانية صوف

حاول أن يتسلى بمشاهدة شء في التلفزيون

وجد البرامج الحوارية مملة ،

والأفلام مكررة

\*\*

سحب كتابا لم يكن قد أنهى قراءته

لكن أصابعه المتجمدة

لم تقو على تقليب صفحاته

أعادته إلى موضعه

\*\*

أمسك بأجندة التليفونات

محاوِلا التقاط رقم صديق

يثرثر معه عن هذا البرد المظييع

أو يتبادل معه بعض الأخبار والذكريات

لكنه وجد الأرقام شبه باهتة

وكلما توقف عند اسم بعينه

تذكر له أحد المواقف المسخيفة

التي لنا يصدر مثلها من صديق حقيقي

\*\*

ما هذه البرودة التي تسرى فى عظامه ؟

ولماذا لنا يحد منها هذا الكم من المصوف ،

الذي يحيط بجسده ؟

وهل يمكن فى هذا الجو أن يأتى النوم ؟

\*\*

النوم ..

لنا مجال له على الاطلاق

وقد صارت زخات المطر الممتالية

تصك خشب الشباك

كما لو كانت ذئبا جائعا

يحاول أن يقتحمه بالقوة

أما دقائق ساعة الحائط

فهي مستمرة في ضرباتها المنتظمة ،

والرتبية ،

والتي تحولت مع مرور الوقت

إلى ما يشبه دقائق طبلة

في مارش عسكري

\*\*

لماذا لا يذهب إلى المطبخ

ويقوم بتحضير وجبة ساخنة

لعلها تبت بعض الحرارة في جسده ؟

لاش في المثاجة سوى عدة بيضات

وعلى المرف زجاجة زيت

أما الخبز فقد جف في كيسه

لا يهم ..

وليذهب النوم إلى المجحيم !

\*\*

نجحت المحاولة

وساعدت نار البوتاجاز على تدفئة المكان قليلا

لكن الأهم

أن تناول تلك الوجبة أشاع الدفء في معدته ،

ومنها إلى أطرافه

وحين شرب كوبا ساخنا من المشاي

تأكد من أن النوم قد طار من عينيه تماما

\*\*

جلس على المكتب

وفتح الكمبيوتر

هناك بعض الرسائل غير المهامة

وبعض الصور المتى يتباهى بها أصحابها

لكنه سرعان ما شعر بالملل ، فأخلقه

عاد إلى السرير

البطاطين المصوف باردة جدا

وهى على نفس مستوى برودة قدميه

ماذا سيفعل الآن ؟

لا شيء

وتساءل :

ماذا لو كانت له الآن رقيقة ؟

يحدثها ، وتحديثه

ويتقاسم معها مقاومة هذا الشتاء القارس ؟

لكنه كان المسئول الرئيسي

عن فراق كل من عرفهن

رغم أن فلانة كانت أفضل ..

وفلانة كانت أجمل ..

وفلانة كنت أطيب ..

أخيرا ذهب كلهن ،

وبقى هو وحده [لعانى المبرد ،

إنها فيما يبدو عدالة السماء !

\*\*

بعد بزوغ الفجر بأكثر من ساعة

وجد رأسه يثقل

وبصره يضعف

وقواه تخور

وفجأة استغرق فى نوم عميق

عميق جدا

لم يصح منه إلا مع عصر اليوم التالى ..

\*\*\*